البلاد منهم والحاجة إلى مصادرة ثرواتهم. فالمحرك الأساس لكل ما حدث مرجعه في نظر ولفنسون إلى أسباب دينية ومادية خالصة. وغاب عن باله أن عيش بني قينقاع داخل الأحياء المسلمة في المدينة، ربما جعل منهم عيناً لأعداء المسلمين، ولا يستبعد كذلك أنهم كانوا عنصر شغب في المدينة؛ ولأنهم أكثر اليهود احتكاكاً بالمسلمين بسبب المخالطة في السكن، فلا غرابة أن أصبح أكثر المنافقين من اليهود هم من بني قينقاع[1]. ومن يتعوذ بالإسلام ويبطن الكفر فلا يستبعد أن يجلب الشر والأذى لمن يعيش بينهم.

ومن بين الآراء التي جانبها الصواب في أمر بني قينقاع، ما ذهب إليه واشنجتون إرفنج Washington Irving [2] فهو يحصر سبب إجلائهم من المدينة بقصة المرأة المسلمة وما حدث لها في سوق بني قينقاع، والمسألة في نظره لا تتعلق بما قيل عن كشف عورتها، كما جاء في بعض المصادر، بل كشف وجهها، فقد روى الحادثة على النحو الآتي: أن بعض شباب اليهود من قينقاع بهرهم جمال إحدى الفتيات العربيات، وطلبوا منها أن تكشف الخمار عن وجهها، فرفضت، فغافلها أحد الصاغة اليهود، فربط خمارها بالمقعد الذي كانت تجلس عليه فلما ذهبت واقفة انكشف وجهها. فقام أحد المسلمين وقتل الصائغ، ثم اجتمع اليهود على المسلم فقتلوه، فحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قينقاع حتى استسلموا [3].

---

(١) انظر: ابن هشام، السيرة النبوية، ١٧٤/٢ - ١٧٥.

(٢) واشنجتون إرفنج Washington Irving: مستشرق أمريكي، له عدة كتب وأبحاث لعل من أهمها: **حياة محمد (سيرة النبي العربي)** ١٨٤٩، **فتح غرناطة إسبانية، أوراق إسبانية**، انظر: العقيقي: المستشرقون، ١٣١/٣.

(٣) انظر: واشنجتون إرفنج: **حياة محمد**، ترجمة علي حسني الخربوطي، الطبعة الثانية، (القاهرة: دار المعارف، د:ت) ص ص ١٦٢ - ١٦٣ .